مدرسة الإسكندرية

الشهادة بحسب الإنجيل (٣)

الراهب سارافيم البرموسي

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد السادس - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٦

الشهادة بحسب الإنجيل (٣)

الراهب سارافيم البراموسي

الشهادة بحسب الإنجيل (٣)

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

وهكذا تحت تأثير القوّة السماويّة، وبعونٍ إلهيّ،
أنارت تعاليم المُخلّص كلّ العالم بسرعةٍ كأشعّة الشمس،
وللحال خرج صوت الإنجيليّين والرسل المُلهمين
إلى كلّ الأرض وإلى أقصى المسكونة كلماتهم

تاريخ الكنيسة
يوسابيوس القيصري

بعد أن تحرّكنا في مقالنا السابق مع مصطلح الشهادة، في جولة سريعة بين نصوص الآباء. واستشقنا نسمات الحريّة المصاحبة لذكر تلك الكلمة والتي كانت تعبيرًا عن الحريّة التي في المسيح في أقوى وأعمق صورها، إذ قد ارتبطت بشكلٍ كبير بالشهادة الكلاميّة / الحياتيّة. نبدأ في مقالنا الحالي استعراض حركات الاضطهاد التي وقفت أمام الكنيسة الناشئة لعلّها تستوقف مسيرتها لتدفنها في رمال العالم. هي حركات سنرصدها مع ما تُقدِّمه من دلائلٍ مُبكِّرة عن العلاقة بين الكنيسة والسلطة إبّان فترة أقلّ ما توصف به أنّها حرجة للغاية. وسنبدأ بالاضطهاد الذي لاقته الكنيسة الناشئة في منطقة أورشليم واليهوديّة والتُخُم المجاورة. من تلك الدائرة انطلقت الكرزة؛ فحيثما التقت كلمات ودماء المسيح كانت تنبت بُؤر الشهادة الجديدة؛ الشهادة ليسوع القائم، ومن ثمّ الاستشهاد على أيدي أولئك الخائفين من تبعات قيامة الربّ.

ولكن لا بد أن نعرج أولاً على المصادر التي استقينا منها معلوماتنا عن الاستشهاد والضيقة التي واجهت الكنيسة الأولى، وحتّى مرسوم ميلان في بداية القرن الرابع الميلادي.

مصادر الشّهادة في الكنيسة الأولى

إنّ المصادر التي وصلت إلى أيدينا عن اضطهاد الكنيسة الأولى يمكن إجمالها في الفئات الثلاث التالية[1]:

١ـ ما ورد في نصوص العهد الجديد، وبالأخص سفر الأعمال الذي رصد مسيرة الكنيسة الأولى ومسيرة المجتمعات اليهوديّة في ملاحقتها.

٢ـ البيانات الواردة من السلطات الإمبراطوريّة والكُتّاب الوثنيين والتي تُعبِّر عن رؤية الإمبراطوريّة للمسيحيين والوسائل التي اتّخذتها للقضاء على الكنيسة الوليدة، ومنها:

أ ـ المراسلات بين بليني *Pliny* وتراجان *Trajan* حول المسيحيين (١١١ ـ ١١٢م.)، حينما كان بليني حاكمًا لمقاطعة بيثينية بونطوس *Bithynia-Pontus* (شمال تركيا حاليًا).

ب ـ نصٌّ يحمل جوابًا عن المُساءَلة القانونيّة التي أرسلها الإمبراطور هادريان *Hadrian* إلى حاكم مقاطعة في آسيا (١٢٢ ـ ١٢٣ م.).

ج ـ نصٌّ محفوظ على برديّة مصريّة ترجع لزمن المرسوم الذي أصدره دسيوس *Decius' edict* حول الذبائح (٢٤٩ ـ ٢٥٠م.).

د ـ نصٌّ مرسوم فالريان المُكوّن من ٢٥٨ فقرة والتي وردت مختصرة في رسالة لكبريانوس، فضلاً عن بعض الوثائق المُتعلّقة بحقبة الاضطهاد الكبرى (٣٠٣ ـ ٣١٣م.) والتي تمّ تجميعها من اقتباسات للكتّاب المسيحيين.

هـ ـ بعض الوثائق المتناثرة لكُتّاب مثل كلسِس (وخاصة مؤلّفه؛ في *العقيدة الصحيحة On True Doctrine*، الذي اقتبس منه أوريجانوس بغزارة في الردّ الذي أورده بعنوان؛ *ضدّ كلسِس Against Celsus*). بالإضافة إلى بعض التعليقات العابرة في *سير*

[1] Freedman, D. N., *The Anchor Bible Dictionary*, New York: Doubleday, vol. v , 231-236

سيتونيوس Suetonius' biographies وحوليات تاكيتاس Tacitus' Annals.

٢. أعمال المدافعين المسيحيين والمناظرات النظريّة حول الاضطهاد، ومؤلّفات التأريخ لبدايات عصور المسيحيّة، ومن أهمها:

أ ـ التاريخ الكنسي ليوسابيوس والذي دوّنه في بداية القرن الرابع، والذي يحوي الكثير من الوثائق القيّمة التي تُلقي بالضوء على اضطهاد المسيحيين.

ب ـ مؤلّف ترتليان *إلى الشهداء To the Martyrs*

ج ـ مؤلّف كبريانوس في *الزلل on the Lapsed* والذي يناقش ما خلّفه الاضطهاد من تباين في وجهات النظر في بعض الأمور العقائديّة.

٣. ما تبقّى من أعمال الشهداء المسيحيين والتي تمثّل أهم المصادر التي ترصد لنا حياة الشهداء فرادى أو جماعات، مثل كتاب *آلام بيونيوس ورفاقه The Passion of Pionius and his Companions* والذي يُمثّل شهادة عيانيّة بل ونصوص دوّنها الشهداء أثناء فترة وجودهم في السجون قبل أن ينالوا إكليل الشهادة.

الشّهادة وعلاقة السلطات بالكنيسة في حياة المسيحيين الأوائل

أولاً . في أورشليم واليهوديّة وما حولها

نقرأ في بداية خدمّة الربّ يسوع أنّه كان عرضة لهجمة شرسة في مجمع الناصرة نتيجة لشرحه النصّ الوارد عند إشعياء وهو الأمر الذي دفع الجموع للهياج المبكّر على يسوع؛ «فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا، فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى.» (لو٤: ٢٨ ـ ٣٠). ومن وقتها والمجمع اليهودي هو القاسم المشترك في معاناة المسيحيين الأوائل، ومصدر لانطلاق شرارة الاضطهاد على الكنيسة.

لم يمر الوقت حتّى بدأت تتحقّق كلمات المسيح؛ «وَقَبْلَ هذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعِ وَسُجُونٍ، وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي» (لو ٢١: ١٢).

(١)

أوّل صدام نرصده بين قادة اليهود والمسيحيّة الناشئة، قدّمه لنا القديس لوقا في سفر الأعمال في الإصحاح الرابع، عقب المعجزة التي أجراها القديس بطرس عند باب الهيكل المدعو بـ "الجميل"، والتي كان من نتائجها التفاف جموع كثيرة في رواق سليمان ليسمعوا ما عزم بطرس على إعلانه. وأثناء الكلمة التي كان يلقيها بطرس؛ « أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا الْكَهَنَةُ وَقَائِدُ جُنْدِ الْهَيْكَلِ στρατηγὸς τοῦ ἱεροῦ وَالصَّدُّوقِيُّونَ، مُتَضَجِّرِينَ مِنْ تَعْلِيمِهِمَا الشَّعْبَ، وَنِدَائِهِمَا فِي يَسُوعَ بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ. فَأَلْقَوْا عَلَيْهِمَا الأَيَادِيَ وَوَضَعُوهُمَا فِي حَبْسٍ[٢] τήρησις إِلَى الْغَدِ، لأَنَّهُ كَانَ قَدْ صَارَ الْمَسَاءُ » (أع٤: ١ ـ ٣).

هنا ونلاحظ أنّ ثلاث فئات تجمّعت لإلقاء القبض على التلاميذ، وهم يُمثّلون ثلاثة تيّارات في المجتمع اليهودي آنذاك؛ فالكهنة يُمثّلون التعصُّب الديني والارتكان إلى التراث والأصوليّة في التفكير، بينما قائد جند الهيكل يمثّل الجانب الأمني والمرتبط بالضرورة بالجانب السياسي، ومن الجدير بالذكر أنّ حراسة أبواب الهيكل كانت إحدى وظائف اللاّويين لمنع دخول أي شيء نجس، وقد ورد ذكر قائد جند الهيكل في الكتابات اليهوديّة كـ "رجل جبل الهيكل"، وتأتي مكانته في المجتمع اليهودي بعد رئيس الكهنة مباشرة. أمّا الجماعة الثالثة التي كانت حاضرة لإلقاء القبض على التلميذيْن هم الصدوقيون ويمثّلون الجناح الرأسمالي والطبقة الثريّة والحاكمة في المجتمع اليهودي.

ومن الأمور التي يجب أن تستوقفنا؛ أنّ العدو الأوّل للمسيح في المجتمع اليهودي، كان جماعة الفريسيين، إلاّ أنّ ثمّة تغيُّر كبير حدث إذ بات

[٢] جاءت تلك الكلمة عند يوسيفوس بمعنى رهن الاعتقال. Josephus *Ant.* 16.321

الصدوقيون هم المقاوم الأوَّل للتعليم المسيحي. وذلك لأنّ محور التعليم الذي جاهر به بطرس بل والرسل أيضًا هو القيامة من الأموات، وهو الذي يمسّ التعليم الصدوقي في جوهره، بل ويقوِّض كلّ دعواهم بأنّه ليست هناك قيامة من الأموات. وبالرغم من كون الصدوقيين[٣] ليبراليين منفتحين على الثقافات الأخرى دونما تزمُّت، إلاّ أنّهم هبّوا معًا لمقاومة قيامة يسوع.

وبعد أن استفسروا منهم عن مصدر القدرة التي جعلتهم يقيمون الرجل الأعرج، أوضح لهم بطرس أنّ القوّة نابعة من يسوع الذي قتلوه منذ أيامٍ ليست بكثيرة. ويضيف سفر الأعمال؛ «فَلَمَّا رَأَوْا مُجَاهَرَةَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، وَوَجَدُوا أَنَّهُمَا إِنْسَانَانِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَّانِ، تَعَجَّبُوا. فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ.» (أع٤: ١٣). لقد تعجّب اليهود المجتمعين من قدرّة الرسوليْن على الحديث بالرغم من كونهما «عديما العلم وعاميّان». إنّ "عاميان" وردت في النصّ اليوناني ἰδιώτης وهي تعني الشخص غير المتخصِّص في مجالٍ ما.[٤] والعلم المقصود هنا هو الدراسة في المدارس اليهوديّة للتوراة والمشناه وغيرها من نصوص التقليد،[٥] والتي تؤهِّل الشخص للحديث في الأمور العقائديّة، إذ كان بطرس يخاطب الناس في رواق سليمان. مَنْ لم ينل ولو قسطًا صغيرًا من التعليم كان في مرتبة متدنّية في المجتمع اليهودي، ومن ثمّ كان يُنظر إليه نظرة دونيّة ولم يكن يُنتظر منه الكثير على أيّة حال. إنّ تلك النظرة كانت هي النظرة إلى المسيح أيضًا، حينما صعد يسوع إلى الهيكل ليُعلِّم؛ «فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: 'كَيْفَ هذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟'.» (يو٧: ١٥). كان ردّ يسوع عليهم؛ «تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو٧: ١٦). لذا فقد كتب يوحنّا الذهبي الفم عن بطرس وبولس المُجاهرين بالقيامة أمام اليهود؛ "لم يكن

---

[٣] يرى يوسيفوس أنّ الصدوقيين يستميلون الأغنياء فقط بينما الفريسيين يحظون بتأييد جمهور الجموع. Josephus, *Jewish Antiquities* 13.298

[4] Abbott, Thomas Kingsmill: *A Critical and Exegetical Commentary on the Epistles to the Ephesians and to the Colossians*. New York : C. Scribner's sons, 1909, 234

[5] Stern, David H.: *Jewish New Testament Commentary : A Companion Volume to the Jewish New Testament*. electronic ed. Clarksville: Jewish New Testament Publications, 1996, c1992, Acts 4:13

الرسولان هما المتكلّمان ولكن نعمة الروح."[٦] أي أن قياس كلامهما لا يجب أن يُبنَى على معارفهما بل على معارف الروح اللاّمحدودة، المتكلّم فيهما.

إنّ هاتين الكلمتين؛ «عديما العلم وعاميّان»، تلقيان بالضوء على ردّ فعل قادة اليهود تجاههم، فقد دعوهما؛ «وَأَوْصَوْهُمَا أَنْ لاَ يَنْطِقَا الْبَتَّةَ، وَلاَ يُعَلِّمَا بِاسْمِ يَسُوعَ.» (أع٤: ١٨). لقد كان السبب الحقيقي لذلك الحُكم أنهم كانوا خائفين من ردود الأفعال تجاه محاكمة الرسل أو قتلهم، لذا فقد رأوا أن القليل من التهديد قد يكفي تلك المرّة؛ «مَاذَا نَفْعَلُ بِهذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ؟ لأَنَّهُ ظَاهِرٌ لِجَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ أَنَّ آيَةً مَعْلُومَةً قَدْ جَرَتْ بِأَيْدِيهِمَا، وَلاَ نَقْدِرُ أَنْ نُنْكِرَ. وَلكِنْ لِئَلاَّ تَشِيعَ أَكْثَرَ فِي الشَّعْبِ، لِنُهَدِّدْهُمَا تَهْدِيدًا أَنْ لاَ يُكَلِّمَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا بَعْدُ بِهذَا الاسْمِ» (أع٤: ١٦، ١٧). ولكن كانت الإشكاليّة هي: كيف سيُقدّمون الحُكم أمام النّاس والذي قد يُنظَر إليه بأنّه تساهُل تجاه تلك الحركة الجديدة، كان عليهم أن يحيكوا المؤامرة جيِّدًا كما اعتادوا؛ «وَتَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ» (أع٤: ١٥)، ولعلّ ما ساعدهم على ذلك أنه كان هناك قانون يهودي في القرن الأوّل الميلادي يمنع معاقبة غير المتعلّمين على خطأهم الأوّل الذي يكون عادة نتيجة الجهل. ولعلّ هذا الإطار كان مخرجًا لهم أمام إطلاقهم للرسل دون عقوبةٍ.[٧]

لقد كانت تلك أوّل محاكمة أو بالأحرى شبه محاكمة للمسيحيين. إنّها أوّل حركة من قادة اليهود تجاه المسيحيّة بعد محاولتهم الفاشلة للقضاء على يسوع.

لقد كان ردّ بطرس، بل وردّ الكنيسة على تهديدهم؛ «لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (أع٤: ٢٠).

أسباب القبض على بطرس ويوحنّا:

شفاء الأعرج والتعليم في رواق سليمان والمناداة بقيامة يسوع

---

[6] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit. by: Schaff, Philip,, First Series Vol. XI. (Oak Harbor: 1997), *Homilies on the Acts*, 65

[7] Richards, Lawrence O.: *The Bible Readers Companion*. Wheaton : Victor Books, 1991; 712

مراحل الاستجواب:

١ـ الاستدعاء الأوَّل (٤: ٥ ـ ١٢)

٢ـ اجتماع خاص لقادة اليهود (٤: ١٣ ـ ١٧)

٣ـ الاستدعاء الثاني (٤: ١٣ ـ ٢٢)

(٢)

بعد مرور وقت قليل على حادثة القبض الأولى على الرسل نقرأ؛ «فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الَّذِينَ مَعَهُ، الَّذِينَ هُمْ شِيعَةُ الصَّدُّوقِيِّينَ، وَامْتَلأُوا غَيْرَةً فَأَلْقَوْا أَيْدِيَهُمْ عَلَى الرُّسُلِ وَوَضَعُوهُمْ فِي حَبْسِ الْعَامَّةِ[٨] ἐν τηρήσει δημοσίᾳ» (أع٥: ١٧ ـ ١٨) وكان ذلك بعد أن بدأت تنتشر التعاليم بقيامة يسوع، وبدأت الآيات تتزايد وتستقطب الكثيرين من المدن والقرى المتاخمة؛ «وَكَانَ مُؤْمِنُونَ يَنْضَمُّونَ لِلرَّبِّ أَكْثَرَ، جَمَاهِيرُ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ ... وَاجْتَمَعَ جُمْهُورُ الْمُدُنِ الْمُحِيطَةِ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَامِلِينَ مَرْضَى وَمُعَذَّبِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ، وَكَانُوا يُبْرَأُونَ جَمِيعُهُمْ.» (أع٥: ١٤ ـ ١٦)، وهو الأمر الذي استحضر في أذهانهم خدمة يسوع قبل موته؛ ولكن تلك المرّة هناك أكثر من يسوع، وكأنّهم حينما ألقوا بحبّة الحنطة على الأرض لتَمُت، أثمرت أعدادًا متزايدة من ثمارٍ حاملةً آلاف البذار. لم يكن الحبس في حدّ ذاته عقوبة بحسب القانون الروماني الذي يسري على البلاد الخاضعة للحكم الروماني، فقد كان تمهيدًا للعقوبة.[٩] وفي السجن حدثت المعجزة الشهيرة التي تفتّحت فيها أبواب السجن على مصراعيها أمام الرسل[١٠] وكلّمهم الملاك أن عليهم أن يذهبوا لينادوا بكلمة الحياة، وهو ما عملوه في الصباح الباكر. وحينما نما إلى علم رئيس الكهنة وقائد جند الهيكل وكلّ مشيخة بني إسرائيل أنّهم يعلّمون من

---

[٨] الكلمة في اليونانيّة تعني رهن الاعتقال، أو بحسب المصطلح الأمني المعاصر؛ على ذمّة التحقيق. ومن الجدير بالذكر أن هناك ثلاث كلمات مستخدمة في هذا الإطار؛ الأولى Τήρησις وتعني رهن الاعتقال كما أشرنا، أمّا الثانية Φυλακή وتعني تحت الحراسة، بينما الثالثة δεσμωτήριον وهي تعني موضوعًا في قيود.
Vincent, Marvin Richardson: *Word Studies in the New Testament*. Bellingham, Vol. 1, 470

[9] Gary L. Knapp, "Prison," *International Standard Bible Encyclopedia*, vol. 3, 975.

[١٠] نقرأ في سفر الأعمال عن ثلاث مرّات يتمّ فيها الخروج من السجن بشكلٍ معجزي (انظر: أع١٢: ٦-١٠؛ ١٦: ٢٦-٢٧)

جديد في الهيكل، ألقوا القبض عليهم مرّة أخرى، ولكنهم لم يستخدموا العنف تلك المرّة خوفًا من الجموع (انظر: أع٥: ٢٦). «فَلَمَّا أَحْضَرُوهُمْ أَوْقَفُوهُمْ فِي الْمَجْمَعِ. فَسَأَلَهُمْ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ قَائِلاً: 'أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهذَا الاسْمِ؟ وَهَا أَنْتُمْ قَدْ مَلأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هذَا الإِنْسَانِ'. فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَالرُّسُلُ وَقَالُوا: 'يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ[11]. إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا. وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ'. فَلَمَّا سَمِعُوا حَنِقُوا، وَجَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ.» (أع٥: ٢٧ ـ ٣٣).

من كلمات بطرس والرسل يرتسم أمامنا أساس لعلاقة الكنيسة بالسلطات القائمة آنذاك؛ إذ لا يجب الخلط بين طاعة الله وطاعة البشر، حينما يكون هناك تعارض. فالكرازة بكلمة الحياة كانت وصيّة المسيح قبيل صعوده إلى السماء، كما كانت تعليمات السماء بفم الملاك للرسل، وهنا تتعارض الوصيّة مع مطلب السلطات، ويبقَى القانون الذي سارت عليه الكنيسة وأرادات أن تُقدِّمه لنا في كلّ العصور وتحت مختلف الظروف هو أنّ طاعة الله تتقدّم على طاعة البشر.

لقد كتب القديس بطرس في رسالته؛ «فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ. لأَنَّ هكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ: أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكِّتُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الأَغْبِيَاءِ. كَأَحْرَارٍ، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةٌ لِلشَّرِّ، بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ. أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحِبُّوا الإِخْوَةَ. خَافُوا اللهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ» (١بط٢: ١٣ ـ ١٧). هنا ويبدو أن هناك تناقض بين ما قام به بطرس وصرّح به الرسل أمام المجمع، وبين تعليم بطرس الرسول فيما بعد. ولكن بنظرة أكثر عمقًا نجد أنّ الخضوع والطاعة والإكرام للسلطات

[11] لقد وردت نفس العبارة على لسان سقراط أثناء دفاعه عن نفسه أمام القضاة الأثينيين، إذ قال: "ينبغي أن أطيع الله أكثر من البشر" Plato *Apology* 29D

الذي يطالب به القديس بطرس، الكنيسة، هو في إطار القوانين المدنيّة والتي لا تتعارض ولا تتداخل مع القانون الإلهي والوصيّة الإلهيّة؛ ولعلّ استشهاد القديس بطرس على يد السلطات لهو أقوى دليل على ضرورة عدم الخلط بين الطاعة الكاملة للوصيّة الإلهيّة وإن نتج عنه غضب السلطات، وبين الخضوع للترتيب البشري والقانون الوضعي الذي يحكم المعاملات بين الناس في إطار شرعيّة قانونيّة وقضائيّة تُظلِّل على الجانب التنفيذي منه.

اجتمع المجمع اليهودي والمكوَّن عادةً من ٧١ عضوًا يشمل رئيس الكهنة ليتباحثوا بخصوص الأزمة التي بدأت تتفاقم في المجتمع. وكانت تتعالى دعاوى بضرورة القضاء عليهم كما يسوع، لئلا يحدث ما لا يُحمد عقباه. إلاّ أنّ صوتًا عاقلاً وجد له مكانًا في جلستهم الصاخبة؛ هو غمّالائيل[١٢] الشيخ الفريسي، والذي أشار على المجمع المنعقد بأن يتركوا القضاء لله لتظهر أحكامه، فإن كان هذا الأمر من الله سيثبت وإن لم يكن فسوف يتلاشى من تلقاء ذاته[١٣] مدلِّلاً بحركة ثوداس ومن معه، واستجاب الجمع لرأيه و«دَعُوا الرُّسُلَ وَجَلَدُوهُمْ، وَأَوْصَوْهُمْ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمُوا بِاسْمِ يَسُوعَ، ثُمَّ أَطْلَقُوهُمْ»(أع٥: ٤٠). وكان الجلد بحسب القانون اليهودي، أربعين جلدة إلاّ واحدة (حتّى تقبل القسمة على ثلاثة كما تقول المشناه).

---

[١٢] معروف في التاريخ اليهودي بـــ "غمّالائيل الكبير" وهو أوّل من أُطلق عليه لقب "رابان *Rabban* " بدلاً من "رابي *Rabbi*"، وهو الأوّل من بين ستّه دعوا باسم غمّالائيل، كان أشهرهم حفيده غمّالائيل الثاني. غمالائيل هو حفيد الرابي الشهير هلِّل، كما أنّه قائد مدرسة بيت هلِّل *Beit-Hillel*. وهناك فقره في المشناه بخصوصه تقول: "حينما مات رابان غمّالائيل الكبير، خبا مجد التوراة، حينها توقفت الطهارة والقداسة" *Sotah* 9:15

Stern, David H.: *Jewish New Testament Commentary : A Companion Volume to the Jewish New Testament*. electronic ed. Clarksville: Jewish New Testament Publications, 1996, c1992, Acts 5:34

[١٣] هناك فقرة في المشناه تقول: "أي تجمُّع من أجل السماء سيثبت في النهاية، ولكن أي تجمُّع ليس من أجل السماء لن يثبت في نهاية الأمر." *Pirqe Aboth* 4.11

ومن الغريب أنّ عقوبة الجلد لها ضوابط ومصوغات وأحكام لا تنطبق بأي شكل من الأشكال على حالة الرسل؛ فكما جاء في المشناه[١٤] أن عقوبة الجلد تتضمّن:

١. التعديات الأخلاقيّة مثل أن يضاجع الرجل / المرأة أشخاصًا مُحرَّمين (في النطاق العائلي).

٢. التعديات التشريعيّة مثل التنجُّس بكل أشكاله.

٣. التعديات السلوكيّة بالتشبّه بالعادات الوثنيّة، مثل حلق الشعر مستديرًا، الوشم، جرح الجسد ... إلخ.

إلاّ أن أسباب القبض على الرسل لم تتضمّن أحد تلك الأشكال، ومن ثمّ فإنّ عقوبة الجلد ههنا تفتقر إلى الشرعيّة اللاّزمة من التشريعات اليهوديّة، وهو ما يدلّل أن القضاء اليهودي لم يكن هو المتحكّم في الأمر، فقد تُرك بجملته ليد قادة اليهود لاجتثاث الحركة المسيحيّة من جذورها.

أمّا طريقة الجلد نفسها فنقرأ عنها في الموسوعة اليهوديّة:

"كان السوط يصنع من جلود العجول، وكان المُعاقَب يُجلَد على الجزء العلوي من جسده؛ ثلث عدد الجلدات على صدره، والثلثان الآخران على ظهره. وكان المُعاقب يقف في وضعٍ منحنٍ بينما الجلاّد يقف خلفه على حجرٍ، وكان يصاحب الجلد ترديد بعض العبارات التذكيريّة والإرشاديّة للمُعاقَب من النصوص المُقدَّسة".[١٥]

كما نقرأ في المشناه:

"لا يُجلَد واقفًا ولا جالسًا وإنّما مائلاً، حيث ورد «ويطرحه القاضي» (انظر: تث٢٥: ٢). والجلاّد يجلد بيد واحدة وبكلّ قوّته."[١٦]

---

[١٤] انظر: الباب الثالث من مبحث مكوت (الجلدات)، نزيقين الأضرار، المشناه، ترجمة د. مصطفى عبد المعبود (مكتبة النافذة: ٢٠٠٧)، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٦

[15] H. Cohn, "Flogging," *Encyclopaedia Judaica*, vol. 6, p. 1350.

[١٦] الباب الثالث من مبحث مكوت (الجلدات)، المشناه، مرجع سابق، ص ٢٠٧

كان الجلد هو أوّل عقوبة أو اضطهاد لجمع من المسيحيين (كلّ الرسل)، ولكنّه في المقابل كان سبب فرح غامر للرسل لأنّهم تألّموا مع المُخلِّص أو بالأحرى اشتركوا في آلام المخلِّص؛ «وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. وَكَانُوا لاَ يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أع٥: ٤١ ـ ٤١).

أسباب القبض على الرسل:

كسر كلام قادة اليهود بعدم المناداة بقيامة يسوع

انضمام مؤمنين كُثُر إلى الكنيسة

التعليم مجدّدًا في رواق سليمان

تجمهر اليهود من كلّ مكان حاملين مرضاهم لنوال الشفاء.

(٣)

ظهر على ساحة الكنيسة فمٌ جهوري جديد يبشّر بقيامة الربِّ بجرأة وقدرة فائقتين؛ استفانوس أحد الشمامسة السبع، الذي لم تستطع أن تصمد أمامه ردود قادة اليهود وهو ما أدّى إلى ثورتهم عليه؛ «فَنَهَضَ قَوْمٌ مِنَ الْمَجْمَعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَجْمَعُ اللِّيبَرْتِينِيِّينَ وَالْقَيْرَوَانِيِّينَ وَالإِسْكَنْدَرِيِّينَ، وَمِنَ الَّذِينَ مِنْ كِيلِيكِيَّا وَآسِيَّا، يُحَاوِرُونَ اسْتِفَانُوسَ. وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُقَاوِمُوا الْحِكْمَةَ وَالرُّوحَ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ. حِينَئِذٍ دَسُّوا لِرِجَال يَقُولُونَ: 'إِنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ تَجْدِيفٍ عَلَى مُوسَى وَعَلَى اللهِ'. وَهَيَّجُوا الشَّعْبَ وَالشُّيُوخَ وَالْكَتَبَةَ، فَقَامُوا وَخَطَفُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَجْمَعِ، وَأَقَامُوا شُهُودًا كَذَبَةً يَقُولُونَ: 'هذَا الرَّجُلُ لاَ يَفْتُرُ عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلاَمًا تَجْدِيفًا ضِدَّ هذَا الْمَوْضِعِ الْمُقَدَّسِ وَالنَّامُوسِ، لأَنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هذَا سَيَنْقُضُ هذَا الْمَوْضِعَ[١٧]، وَيُغَيِّرُ الْعَوَائِدَ الَّتِي سَلَّمَنَا إِيَّاهَا مُوسَى'. فَشَخَصَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْجَالِسِينَ فِي الْمَجْمَعِ، وَرَأَوْا

[١٧] إنّ الادّعاء على يسوع بأنّه سيهدم الهيكل وجد له مكانًا في إنجيل توماس الأبوكريفي، أحد مخطوطات نجع حمادي، إذ تقول المخطوطة: "قال يسوع: 'سوف أدمّر هذا المنزل ولن يستطيع أحد أن يبنيه'."
Robinson, James McConkey ; Smith, Richard ; Coptic Gnostic Library Project: *The Nag Hammadi Library in English*. 4th rev. ed. Leiden; New York : E.J. Brill, 1996 , 134

وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ» (أع٦: ٩ ـ ١٥). من المعروف أن مجامع اليهود كانت تعبيرًا عن أصولهم؛ فالسكندريين يُصلُّون معًا وكذلك القيروانيين .. إلخ، إلاّ أن مجمع الليبرتينيين له أهميّة خاصة في فهم موقف اليهود من استفانوس. والمجمع συναγωγή قد يُفهَم أنه مكان أو جماعة، ولعلّ الأخيرة أقرب إلى النصّ الذي كتبه القديس لوقا[١٨].

الليبرتينيين هي عن الكلمة اللاّتينيّة *libertini* وتعني المُحرَّرين، في إشارة إلى اليهود الذي أخذوا إلى روما كعبيد على يد بومبي *Pompey* ٦٣ ق. م.، وهناك نالوا حرّيتهم فيما بعد وكوّنوا مستعمرة على نهر التيبر في روما[١٩]، وتمّ ترحيلهم من روما حسب مرسوم طيباريوس[٢٠] عام ١٩ م. لقد كان هؤلاء هم الأشد عداءً لاستفانوس لأنّ ما يُبشِّر به يعني أنّ ما عانوا من أجله لم يكن يستحق؛ فالأمم سينالون ميراثًا كما اليهود؛ تلك الفكرة كانت تزعجهم حينما يستحضرون في أذهانهم الرومان الذين استعبدوهم ثمّ طردوهم، من هنا كان الصدام مع استفانوس أكيدًا.

ونلحظ هنا أمريْن في غاية الأهميّة:

١. الاعتماد على الشهادة الزور للوصول إلى مبتغاهم من النيل من استفانوس.

٢. تهييج الشعب على استفانوس عن طريق الادّعاء عليه فيما يمسُّ مناطق مقدّسة عند جموع اليهود؛ الموضع المُقدّس، الناموس، موسى. وتلك هي المرّة الأولى التي تتحرّك فيها الجموع ضدّ الكنيسة.

وبالفعل تحقَّق لهم ما أرادوا إذ اختطُف استفانوس بعنفٍ واقتيد إلى المجمع؛ مسرح المؤامرات اليهوديّة.

---

[18] Conzelmann, Hans ; Epp, Eldon Jay ; Matthews, Christopher R.: *Acts of the Apostles : A Commentary on the Acts of the Apostles*. Philadelphia : Fortress Press, 1987, 47

[١٩] لقد تحدّث عنهم القديس يوحنّا الذهبي الفم، مطلقًا عليهم "المُحرّرين من الرومان οἱ Ῥωμαίων ἀπελεύτεροι" (العظة ١٥ على سفر الأعمال. انظر: PG 60.120)

[20] Vincent, Marvin Richardson: *Word Studies in the New Testament*. Bellingham, Vol. 1, 476; Kistemaker, Simon J. ; Hendriksen, William: *New Testament Commentary : Exposition of the Acts of the Apostles*. Grand Rapids : Baker Book House, 1953-2001 (New Testament Commentary 17), 227.

أسباب القبض على استفانوس:

التجديف على موسى والناموس

الدعوة إلى هدم الموضع المُقدَّس

بعد عظة طويلة استعرض فيها استفانوس بمهارة ووعي مُجمل التاريخ اليهودي، كانت كلماته الأخيرة بمثابة الوخزة التي دفعتهم إلى الهياج والجنون؛ «يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ! أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ[٢١] ἀντιπίπτετε الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ! أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ؟ وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ، الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ، الَّذِينَ أَخَذْتُمُ النَّامُوسَ بِتَرْتِيبِ مَلاَئِكَةٍ وَلَمْ تَحْفَظُوهُ. فَلَمَّا سَمِعُوا هذَا حَنِقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ. وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَقَالَ: 'هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ'. فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُّوا آذَانَهُمْ، وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ.» (أع٧: ٥١ ـ ٥٨).

لم يذكر لنا القديس لوقا تفاصيل رجم استفانوس إذ اكتفى بقوله؛ «وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ»، ولكي نتعرّف على عملية الرجم عند اليهود، والتي تختلف إلى حدٍّ كبير عن الصورة التي في أذهاننا عن تلك العقوبة، نقرأ:

> "حسب كلام الرابيين، فإنّ المحكوم عليه بالرجم، كان يُوْثَق اليدان، وكان أحد الشهود يلقيه بقوّة حتى يسقط على ظهره، بعدها يلقي الشاهد الثاني عليه، حجرًا، وإن بقى حيًّا بعد ذلك، تبدأ الجموع في إمطاره بوابلٍ من الحجارة حتى تصرعه، ثم يتركوا الجسد معلّقًا حتى الغروب."[٢٢]

---

[٢١] تحمل الكلمة مفهوم المقاومة الإيجابيّة والتي تتضمّن "الهجوم على".

Vincent, Marvin Richardson: *Word Studies in the New Testament*. Bellingham, Vol. 1, 484

[22] Vincent, Marvin Richardson: *Word Studies in the New Testament*. Bellingham, Vol. 1, 485

أمّا في المشناه، نقرأ بالتفصيل عن طريقة الرجم، في باب السنهدرين (الفصل السادس)، إذ تقول:

"إذا انتهى الحكم، يخرجونه (المتّهم) لرجمه، ومكان الرجم كان خارج المحكمة، حيث ورد: «أَخْرِجِ الَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ» (لا٢٤: ١٤) ... يخرج (المتّهم) للرجم ويخرج المنادي أمامه، إنّ [فلان ابن فلان] خارج للرجم لارتكابه الجريمة [الفلانيّة]، و[فلان] و[فلان] شاهدان عليه، فكلّ من يرى أنه برئ يأتي ويشهد له ... وعندما يكون (المتّهم) بعيدًا عن مكان الرجم بأربع أذرع يخلعون ملابسه .. إذ يقول الحاخامات: إنّ الرجل يُرجم عريانًا، أمّا المرأة فلا تُرجم عريانه. وكان مكان الرجم مرتفعًا قدر قامتين (لرجل).

يدفع أحد الشهود [المتّهم] على ظهره، فإذا انقلب على قلبه يُقلبه على ظهره فإذا مات بهذا فقد تمّت عمليّة الرجم. وإن لم يحدث فإنّ الشاهد الثاني يلقيه بحجر على قلبه فإذا مات به فقد تمّت عمليّة الرجم. وإن لم يحدث فإنّ كلّ الجماعة ترجمه ... كلّ المرجومين يعلّقون طبقًا لأقوال رابي أليعازر.

كيف يعلّقونه؟ يغرسون لوحًا في الأرض، وبالقرب من رأس اللوح تخرج خشبة منه، ثمّ يطوّقون يديه ويعلّقونه ..."[٢٣]

ومن الواضح أنّ القديس استفانوس لم يمت في المرحلتيْن الأوليَيْن، ولكنّه أصبح عرضة لوابل من الحجارة، تنهال عليه من الجموع الثائرة عليه، ولكن العجيب أنّنا نقرأ أنّه استجمع كلّ قواه ليجثو على قدميه ليقدّم صلاته الأخيرة من أجل قاتليه؛ عندها رقد في الربّ، وسطّر أول كلمة في تاريخ الشهادة الممتد حتى اللحظة الحاضرة.

---

[٢٣] مبحث السنهدرين، الفصل السادس (أ ــ د)، مرجع سابق، ص ١٦٥ــ ١٦٦؛ Freedman, David Noel: *The Anchor Bible Dictionary*. New York : Doubleday, 1996, c1992; Vol. 6, Page 209

إنّ استفانوس Στέφανον يعني الإكليل، وهو بالحقيقة صاحب التتويج الأوَّل بين جمع الشهداء، صعد إلى السموات وهو مخضّبٌ بدمائه، لكي يلاقي مسيحًا مخضَّبًا بدماء الحبّ؛ ليقوم معه وفيه إلى الحياة الأبديّة والنصرة الدهريّة، وليجلس فيه عن يمين الآب.

كان موت استفانوس نقطة تحوُّل في الكنيسة الأولى، إذ بعد موته مباشرة بدأت موجة من الاضطهاد تلاحق الكنيسة، وصفها يوسابيوس القيصري بأنّها "الأعظم من اليهود على كنيسة أورشليم"[٢٤]، حتى بدأ التشتُّت لساكني أورشليم، ما عدا الرسل؛ «وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا الرُّسُلَ. وَحَمَلَ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ اسْتِفَانُوسَ وَعَمِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً[٢٥]» (أع٨: ١ ـ ٢).

لقد بدأت الجموع تشترك مع القادة في مواجهة المسيحيّة؛ من خلال ملاحقة المسيحيين بالإهانة والسرقة والضرب والقبض .. إلخ. لقد بدأت الأوجاع وبدأت معها الأكاليل تُعدّ لمن يصبر إلى المنتهى.

ولكن هل كان في التشتت والاضطهاد إضعاف للكنيسة؟ نجد القديس لوقا يوضِّح لنا الأمر جليًّا لئلا تلتبس علينا الأمور؛ «فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أع٨: ٤) فالكرازة كانت تتحرَّك على وقع خطى الاضطهاد، لم يفترقا. وكأن الكلمة كانت تصدح من بين رياح الضيقة ولهيب الاضطهاد.

الشّهيد المكرّم الذي لربّنا يسوع المسيح
القديس استفانوس الذي تأويله الإكليل
الذي كشف له الله، أسرارًا عظيمةً
واستنار وجهه مثل وجه ملاكٍ
الذي رأى السموات مفتوحة وربنا يسوع المسيح عن يمين الآب
والذين يرجمونه كان يطلب عن خلاصهم
صارخًا قائلاً: يا ربّي يسوع المسيح اقبل روحي

---

[24] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit. by: Schaff, Philip,, Second Series Vol. I. (Oak Harbor: 1997), *The Church History of Eusebius*, Book I, Chapter I, 8, 104

[٢٥] حسب المشناه فإنّ المحكوم عليه بالموت رجمًا لا يجوز أن تعمل له مناحة. انظر: *Sanhedrin* 6.6

ولا تحسب هذه الخطيّة على هؤلاء النّاس
لأنهم لا يدرون ماذا يصنعون من أجل عمى قلوبهم
يا ربّ لا تبكتهم

أكمل سعيه ومات على الحقّ
ولبس إكليل الشهادة غير المضمحل
السلام لك أيها المجاهد الذي لربّنا يسوع المسيح
القديس استفانوس الذي تأويله الإكليل
اطلب من الربّ عنّا يا رئيس الشمامسة المبارك الشهيد الأوّل
ليغفر لنا خطايانا.
ذكصولوجيّة القديس استفانوس رئيس الشمامسة وأوّل الشهداء

يُتبع